الاستعارة التصريحية النبوية في صحيح البخاري دراسة تحليلية بلاغية

أ. محمد حسين علي السيد*

سلم البحث في ٢/٤/٢٠٢٢م بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ٤/٤/٢٠٢٢م

ملخص البحث:

تتلخص مشكلة البحث في إبراز جمالية الاستعارة البلاغية في النص النبوي، وذلك من خلال إبراز ما تتضمنه بعض النصوص النبوية من معارف ومفاهيم بلاغية قيمة، وتقوم هذه الدراسة بإبراز بعض الجمال الفني البلاغي من خلال تحليل بعض هذه النصوص المتضمنة الصورة الاستعارية في كتاب الصحيح للإمام البخاري، والهدف: التعريف ببلاغته وحسن بيانه عليه الصلاة والسلام من خلال دراسة هذه النصوص التي تكمن فيها الصور البلاغية. وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث قام الباحث بجمع المعلومات، والبيانات وذكر الهدف المراد من عمل البحث العلمي فيه، وجمعها من مختلف المصادر والمراجع. والنتيجة: التعريف بمفهوم البلاغة النبوية، وتبيين أثر بلاغته عليه الصلاة والسلام في تسخير المعاني العظيمة المراد نقلها للمتلقي، وذكر بعض الشواهد كنماذج من الاستعارة البليغة في النص النبوي.

Summary of the research:

The metaphor in the prophetic text, in the book assahih of imam al-bokhari rhetorical analytical study.

By: Researcher: Mohammed Hussein Ali Al-sayed

The research problem is summarized in clarifying the aesthetic of the rhetorical metaphor in the prophetic text, by highlighting what is contained in some of the prophetic texts of valuable jokes, knowledge and rhetorical concepts, and this study highlights some of the rhetorical beauty points by analysing some of these texts that include the metaphor method study in the book assaheh of imam al-bukhari, and the goal; introduce the metaphor analogy saying and good statement of the prophet Muhammad by studying these texts underlying rhetorical images.in this study, the researcher relied on the descriptive and analytical approach, the the researcher gathered informationand data and stated the intended goal of scientific research work on it, and collected it from various sources. And references. The result: introducing the concept of rhetoric, beauty and its interpretations and fields, and showing the effect oh the prophet muhammad's eloquence in harnessing the great meanings tha are to be conveyed to the recipient, and mentioning some evedences as examples of metaphor analogy in the text of the prophet.

* باحث بجامعة السلطان زين العابدين، ترينجانو.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد. فإن نبينا محمد ﷺ أفصح العرب على الإطلاق ذو لسان عربي مبين فهو النبي العربي البليغ ذو الفصاحة وعذوبة منطق، وقد سمت هذه اللغة بسمو القران الكريم وبلسان النبي الفصيح الأمين، فحملت لنا هذه اللغة حسن صياغة كلام الرسول ﷺ وبديع خطابه، ومن أجل ذلك انكب الباحثون على نصوص القرآن والسنة وكثرت حولهما دراساتهم وبحوثهم لنيل الفوائد العلمية والمعارف الربانية في اللغة العربية وغيرها وبلاغة وغيرها، ولكنهم ينهلون من فيض عظيم لا نهاية له، ويغوصون في خضم هذا البحر الواسع الذي لا طرف له.

ثم أراد الباحث أن تكون دراسته هذه حول جمالية النص النبوي وبلاغته، فأراد الباحث أن يجعل هذه الدراسة لتبيين وتحليل بعض مكامن الجمال النبوي من خلال دراسة بعض نصوص النبوية، وذكر بعض المفاهيم العلمية في ذلك، وعليه فإن مشكلة البحث تتلخص في التالي:

وهي الحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات العلمية البلاغية لكافة النصوص النبوية باستنباط الصور البلاغية والمفاهيم اللغوية والبلاغية والأدبية وغيرها من المعارف منها والغوص في فهم معانيها السامية العظيمة.

فيهدف هذا البحث إلى تعريف مفهوم البلاغة النبوية، وتبيين الاستعارة النبوية في صحيح البخاري، وبيان وذكر البعض من الصور البيانية في الاستعارة النبوية البليغة.

التمهيد: البلاغة النبوية وعواملها:

مفهوم البلاغة النبوية:

وهي الأسرار البلاغية واللطائف البيانية العامرة في كلامه ﷺ، هذه البلاغة النبوية المحمدية هي التي سجدت أفكار البلغاء لآيتها، وحسرت عقول الدهاة دون غايتها، رغم أنها لم تُصنَع ولم يُتكلف فيها لكنها من الإحكام الجيد تُرى وكأنها مصنوعة مسبوكة، ولكنها مع سهولة ألفاظها وعباراتها تُرى أيضا أنها بعيدةَ ممنوعة، لعظمة ما تحتويه من كنوز المعاني الباهرة[1].

وقد كان ﷺ فصيحا يتأنى في كلامه، لا يهذيه هذيا، "فكان يحدث الحديث لو

---

١ الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق. تاريخ آداب العرب. دار الكتاب العربي. ج٢، ص١٨٥.

عده العاد لأحصاه"[١] فكان في بلاغته وفصاحته سجية من دون تعلم ودربه، رغم أن العرب كانوا ينتقون أحسن الكلام ويبالغوا في صياغته وإحكامه وتزيينه وكان منهم ذلك عن نظر وعلم مسبق، وروية مقصودة، وكان منهم عن تكلف مصطحبا للفطرة اللغوية فيهم ليصلوا إلى الإجادة التي بها يسلمون من الزلل والاضطراب وكافة عيوب القول، ومع ذلك لم يسلم البعض منهم من الخلل في الكلام فترى الحذف في موضع إطناب، والاطناب في موضع إيجاز، والكلمة غيرها أليقُ منها، وغير ذلك من عيوب الكلام.

وهو ﷺ لا يتكلف في قوله ولا يتعمل، ولم يكتب ولم يؤلف، ومع هذا لا تجد في بلاغته موضعًا يقبل التنقيح، أو تعرف له رقة من الشأن كأنما بين الألفاظ ومعانيها في كل بلاغته مقياس وميزان، أو كأن هذه البلاغة تنبثق بالكلام على طبيعة عاملة فيه بقواها"[٢]، فهو أفصح العرب، على أنه لا يتكلف القول، ولا يقصد إلى تجويده وتحسينه، ولا يزيده من وسائل القول في صنعته، فيصل إلى مبتغاه في قوله من غير مجاوزة للحد الصحيح في لفظه ومعناه، ولا يُرى في كلامه ركاكة ولا استكراه، فينبثق من لسانه أحلى الكلام وأعذبه بأسلوب رائع، تنحدر منه المعاني التي هي إلهام النبوة، وعصارة الحكمة، ونتاج العقل، وما إلى ذلك مما يخرج على لسانه الشريف صلوات ربي وسلامه عليه.

وفي هذه الدراسة المختصرة يتناول البحث تبيين بلاغة القول المحمدي النبوي، ودلالاته البلاغيّة العظيمة، وفن الاستعارة ورد كثيرا في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، ولكنَّ وروده لم يكن عن صنعة وتكلّف، وإنما جاء عفويا من دون مبالغة في صناعته وتركيبه، هنا أن نعرض بعضا من النماذج البلاغية الدالة على بلاغته وحسن منطقه، وسنذكر مثالين من الاستعارة التصريحية النبوية وتبيين جملة من المعاني الراقية التي تكمن وراء هذا الاستعارات النبوية البليغة من كتاب صحيح البخاري، بعد أن نتطرق بالتعريف لشخصية الإمام البخاري رحمه الله.

---

١ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. (١٩٨٣م). شرح السنة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش. ط٢. بيروت. دمشق. المكتب الإسلامي. ج١٣، ص٢٥٥. رقم الحديث: (٣٦٩٤). (تكملة الحديث: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه.").

٢ الرافعي، مصطفى صادق. (بدون...). السُّمُوُّ الرُّوحِيُّ الْأَعْظَمُ وَالْجَمَالُ الْفَنِّيُّ فِي الْبَلَاغَةِ النَّبَوِيَّة. تحقيق: أبو عبد الرحمن البحيري وائل بن حافظ بن خلف. ط٢. دار البشير للثقافة والعلوم. ص٦١.

التعريف بالإمام البخاري وحياته العلمية:

اسمه ومولده: هو محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي، مولاهم البخاري، ولد في بخاري عام أربع وتسعين ومائة (١٩٤هـ)، وتوفي والده وهو لازال صغيرا، فنشأ يتيما حيث كانت العناية تحفه وتحيط به من رب السماء جل وعلا [١]، وكان بردزبه فارسيا على دين قومه الفرس، وذكروا أنه أسلم ولده المغيرة على يد اليمان الجعفي، وأتى بخارى فنسب إليه نسبة ولاء وذلك عملا بمذهب من يرى أنه من أسلم على يده شخص فإن ولاؤه له فقالوا له: الجعفي بسبب ذلك[٢].

أما عن **حياته العلمية:** فهو الإمام البارز في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ، رحل في طلب العلم إلى معظم البلدان والأمصار وكتب بخراسان والجبال والعراق والشام والحجاز ومصر، ويقول البخاري بنفسه: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق ومصر والشام، لقيتهم كرات، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وأهل البصرة أربع مرات، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان، فروى عن خلق لا يتسع ذكرهم[٣]، وقيل لأبي عبد الله البخاري: كيف كان بدؤك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظه وأنا في الكتَّاب، ولي عشر سنين تقديرا، ثم اختلفت إلى الداخلي وغيره فقال يوما فيما يقرأ على الناس: ... سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه ثم خرج، فقال كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير عن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم مني وأصلحه، وقال: صدقت. فسئل البخاري: ابن كم كنت يومئذ؟ قال إحدى عشرة سنة، وقال البخاري: وحفظت كتب ابن المبارك ووكيع وأنا ابن ست عشرة سنة، وخرجت إلى الحج، وجاورت في طلب الحديث وصنفت التاريخ وأنا ابن ثماني عشرة سنة عند قبر النبي ﷺ في الليالي المقمرة، وقل أن

---

١ نور الدين محمد عتر الحلبي. (١٩٨٥م). الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح. الكويت. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية. ص٦٣.

٢ محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي. (١٩٩٥م). كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خبَايا صَحِيحْ البُخَاري، ط١. بيروت. مؤسسة الرسالة. ج١، ص٦٣.

٣ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (١٩٨٥م). سير أعلام النبلاء. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط٣. بيروت. مؤسسة الرسالة. ج١٢، ص٤٠٧.

يكون فيه اسم إلا وله عندي قصة حققت بذكرها، وصنفته ثلاثة مرات[١].

ويروي السعداني عن بعض إخوانه أن الإمام البخاري قال: أخرجت هذا الصحيح من زهاء ست مائة ألف حديث، وعن البخاري أيضا: ما وضعت فيه حديثا حتى اغتسلت وصليت ركعتين لكل حديث قبل أن أثبته، وعن بعض المشايخ أن البخاري دون تراجم كتابه في الروضة يغتسل ويصلي لكل ترجمة، وقال الفربري: سمع كتاب البخاري تسعون ألف رجل ما بقي منهم غيري، وقال محمد البخارى بخوارزم: رأيت أبا عبد الله في المنام يمشي بأثر رسول الله ﷺ يتحرى مواضع قدميه.

وقيل: إن عينيه ذهبتا في صغره، فدعت له أمه وابتهلت فرأت سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: قد رد الله على ابنك بصره رحمة لبكائك ودعائك، فأصبح يبصر، وعن البخاري: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، ما عندي حديث إلا أحفظ إسناده[٢].

أما عن قوة حفظه وغزارة علمه: فمن نوادر المنقول في حفظه، أن أهل بغداد امتحنوه بمائة حديث حولوا أسانيدها وبدلوها، ثم عرضها عليه عارض في المحفل، فجعل يقول في كل حديث: لا أعرفه، فاستقصر النظارة حفظه، فلما أتم المعارض المائة عطف البخاري عليها فجعل يقول: أما الحديث الأول فهو كذا، وإسناده عندي كذا، إلى أن انتهى إلى آخر فجودها من حفظه، فأقر الكل له بالفضل وبإحراز الحصل[٣]، وقد أجمعت الأمة على إمامة البخاري محمد بن إسماعيل البخاري في الحديث، وأثني عليه كل الناس، وكان رؤساء الحديث يقضون له على أنفسهم في النظر والمعرفة بالحديث، قال الإمام أحمد بن حنبل: (ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل)، وقال له الإمام مسلم : (أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك)، وقال عنه الحاكم فيه: (هو إمام أهل الحديث بلا خلاف بين أهل النقل) [٤].

---

١ أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي. وأبو العباس ناصر الدين ابن المنير الجذامي الجروي. المتواري علي تراجم أبواب البخاري. تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد. الكويت. مكتبة المعلا. ص ٣٩– ٤٢.

٢ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (١٤١٣ه). طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: د.محمود محمد الطناحي و:د.عبد الفتاح محمد الحلو. ط٢. مصر. هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ج٢، ص٢١٦.

٣ أحمد بن محمد القاضي. وأبو العباس ناصر الدين الجروي. المتواري على تراجم أبواب البخاري. ص٤٣.

٤ نور الدين محمد عتر الحلبي. الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح. ص٦٦.

ومن مناقبه الدينية ومآثره الدالة على خلوص النية أنه امتحن بمناواة محمد بن يحي الذهلي، وكان محمد هذا من جملة مشايخه، ومتعينا في عصره، متقدما بالسن، ومتخصصا بالفضل، وانتصابا للإفادة، واشتهارا زائدا على العادة، وأمرا مطاعا حقا مراعا، واقتضى له مجموع هذه الأحوال أن ظهر على البخاري، وعبر في وجه وجاهته، ووكر في اعتقاد الخلق صفو نزاهته، إلى أن نادى عليه أن لا يجلس أحد إليه، فأقام البخاري برهة من الزمان فريدا وحيدا، ثم لم يكفه حتى أجلاه عن الوطن غريبا شريدا، وانقسم الناس في حقه إلى قسمين: أحنهما عليه وأدناهما إليه هو الذي يظن فيه الاعتقاد ولا يتجاسر على إظهار تعظيمه خشية الانتقاد، حتى قيل إنه دعا في سجوده ذات ليلة دعوة ورخها من كان معه، سمعه يقول: اللهم إنها قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك " فقبض لشهر من هذه الدعوة، ثم لم يكن إلا أن اجتمع الخصمان في دار الجزاء، وقدما على الحكم العدل المنصف في القضاء فانقلب خمول البخاري ظهورا، وظهور غيره دثورا، وقطع الناس بتعظيم البخاري أعصرا ودهورا، وقُطع ذِكرَ الذهلي حتى كأن لم يكن شيئا مذكورا، فهو إلى الآن لا يعرف اسمه إلا متوغل في معرفة أسماء المشاهير والخاملين، ولا يمر ذكره على الألسنة إلا في الحين بعد الحين، والعاقبة للمتقين والعمل على الخواتم وعندها يزول الشك باليقين، وقصته مع محمد بن يحيى الذهلي وذلك حين ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه، فذهب الناس إليه وأقبلوا بالكلية عليه، حتى ظهر الخلل في مجلس الذهلي فحسده بعد ذلك وتكلم فيه[1].

أما **شيوخ البخاري:** فقد كتب عن عدد من شيوخ تلك البلاد حتى كثر عددهم، وكان فيهم عدد كبير ممن تقدم سماعه وعلا إسناده، وقد ذكر منهم الحاكم ما يقارب التسعين، فقد سمع أئمة عصره وأفاد منهم، فمن شيوخه: محمد بن يوسف الفريابي صاحب المسند، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي صاحب المسند، وعبيد الله بن موسى العبسي، والإمام أحمد بن حنبل، ومنهم الإمام إسحاق بن إبراهيم المشهور بابن راهويه، وعلي بن المديني إمام عصره كافة، وقد أكثر عنه وتخرج عليه، وغيرهم من الشيوخ لا يحصون كثرة[2].

---

١ أحمد بن محمد القاضي. وأبو العباس ناصر الدين الجروي. المتواري على تراجم أبواب البخاري. ص٤٣و٤٧.

٢ نور الدين محمد عتر الحلبي. الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح. ص٦٣و٦٤.

وقد قال وراقه محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: (دخلت بلخ، فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه حديثا، فأمليت ألف حديث لألف رجل ممن كتبت عنهم، قال: وسمعته قبل موته بشهر يقول: كتبت عن ألف وثمانين رجلا، ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص)[١].

وأما عن أبرز الرواة عنه: فممن روى عنه من شيوخه: عبد الله بن محمد المسندي، وإسحاق بن محمد الرمادي، ومحمد بن خلف بن قتيبة، ومن الأئمة: محمد بن نصر المروزي، وإبراهيم الحربي، وغيرهم كثير ومن خاصتهم الإمام مسلم والترمذي، فقد تخرجا به وأكثرا من الاعتماد عليه[٢].

وأما الآثار العلمية للإمام البخاري: لقد ترك الإمام البخاري إنتاجاً علمياً كبيرا وغزيراً يدل على قوة علمه وتمكنه، فقد استفاد ممن قبله وأفاد من جاء بعده فاقتدوا به ومشوا على منهجه في مصنفاته، واحتذوا حذوه، وسلكوا طريقه، ولقد حفظَتْ لنا كتب التاريخ والتراجم أسماء كتبه ومصنفاته، لكن الكثير منها فُقِد منذ أمدٍ بعيد، وهذه أسماء كتبه التي ذكرها العلماء وسأعرّف بالموجود منها.

١- الجامع الصحيح.٢- الأدب المفرد. ٣- التاريخ الكبير. ٤- التاريخ الأوسط. ٥- التاريخ الصغير. ٦- خلق أفعال العباد. ٧- الرد على الجهمية. ٨- الجامع الكبير. ٩- المسند الكبير. ١٠- الأشربة.١١- الهبة. ١٢- أسامي الصحابة الوحدان. ١٣- المبسوط. ١٤- المؤتلف والمختلف. ١٥- العلل. ١٦- الكني. ١٧- الفوائد. ١٨- قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم. ١٩- رفع اليدين في الصلاة.٢٠- القراءة خلف الإمام. ٢١- بر الوالدين. ٢٢- الضعفاء[٣].

ومن أهم كتبه الجامع الصحيح: وهو أهم كتب الامام البخاري وأشهرها كتابه " الجامع الصحيح " الذي طبق صيته الآفاق، وهو أصح كتب السنة واسمه: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه " جمع فيه مما هو على شرط الحديث الصحيح، وقصد إلى استنباط الفوائد والأحكام من الأحاديث، وعدد كتب الجامع مائة وشيء، وعدد الأبواب ثلاثة آلاف وأربعمائة

---

١ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. ج١٢، ص٣٩٥.
٢ نور الدين محمد عتر الحلبي. الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح. ص٦٥.
٣ أبو بكر كافي. (٢٠٠٠م). منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح). ط١. بيروت. دار ابن حزم. ص٥٤.

وخمسون بابا مع اختلاف قليل في نسخ الأصول، وعدد الأحاديث المسندة فيه سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثا، والمكررات منه قريب النصف فأحاديثه بدون التكرار تقارب أربعة آلاف، وعدد مشايخه الذين خرج عنهم فيه مائتان وتسعة وثمانون [١]، وكانت طريقته في تصنيفه: أنه وضعه على الفقه فجعله مرتبا على الأبواب، وانتزع من أحاديثه الفوائد الفقهية والنكت الحكمية، وجعل ذلك تراجم بأقوال الصحابة ومن بعدهم مستدلا لها أو مرجحا بعضها على بعض، أو استئناسا لما اختاره وارتآه، فكان كتابا عظيما في أحاديثه الصحيحة عظيما في طريقته، حيث أتى بفقه الحديث، وجمع الآثار والأقوال، فجاء كتابا حافلا في الحديث والفقه وقد بهر ذلك الصنيع الأئمة من بعده فأثنوا عليه الثناء المستطاب[٢].

وبهذا الجهد العلمي في خدمة الحديث النبوي كانت حياة البخاري كلها عملا وجهادا وتحملا للمصاعب وصبرا على المشاق، وقد امتحن في آخر عمره في مدينة نيسابور، حيث نسب إليه القول بخلق لفظنا للقرآن وما بهذا الرأي من عيب، ولكن القوم كانوا على عصبية شديدة وتهيب عظيم في هذا الموضوع، لما نال أهل السنة والحديث وإمامهم المقدم أحمد بن حنبل من الفتنة الشديدة، فشغب عليه الناس وانفضوا عنه، وخشي البخاري على نفسه فترك مدينة نيسابور حيث كان قد استقر بها زمانا، فذهب إلي بلدته بخارى فاستقبل أحسن استقبال، ولكنه لم يلبث أن اضطر للخروج منها، فذهب إلي بيكند، ثم بعد ذلك اتجه إلي مدينة سمرقند، ولكنه مرض في الطريق فلبث هناك عند أقربائه بقرية (خرتنك)، حيث انتقل إلى جوار ربه راضيا مرضيا، وذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، ﷺ وأجزل مثوبته[٣].

الاستعارة التصريحية [٤] في الحديث النبوي:

١- ومن أمثلة ذلك الحديث وهو: عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا

---

١ محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني. (١٩٨١م). الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. ط٢. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ج١، ص١٢.

٢ نور الدين محمد عتر الحلبي. الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح. ص٦٨.

٣ نور الدين محمد عتر الحلبي. الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح. ص٦٧و٦٨.

٤ وهي تشبيه بليغ ذكر فيها المشبه به وحذف المشبه.

مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ...الخ"[١].

وفي هذا الحديث الصورة البيانية في قوله: (ظهري)، إذ المقصود بقوله ظهري: أي اعتمادي والتجائي وليس المقصود به ظهر الجسد، بل إنما قصد به معنى آخر وهو الالتجاء إلى الله والاعتماد عليه بأن يكون المرء في حمايته وحصنه، ومن ذلك قولهم: أرزيت ظهري إلى فلان أي التجأت إليه ليحميني[٢]، وهي استعارة تصريحية ذُكِرَ فيها المشبه به: الظَهر، وحُذِفَ المشبه: الالتجاء الاحتماء.

٢- ومن الأمثلة أيضا قوله ﷺ: "تعِسَ عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي، وان لم يعط لم يرض"[٣]، والقطيفة : دثار مخمل، وقيل : كساء له خمل، والخميصة: كساء أسود مربع له علمان فإن لم يكن معلما فليس بخميصة، أو ثوب خز أو صوف معلم[٤]، فشبّه ﷺ الرجل الطمِع الجشع، مَن إن أعطي رضي، وإن مُنع سخط، بالعبد الرقيق لباذلي الأموال والدراهم والملابس، فاستخدم ﷺ لفظ المشبه به في المشبه ليعلم السامع أن من يتصف بهذه الخصال عبدُ الدينار والدرهم والقطيفة لا عبد صاحبها، فالتنكيل هو بمن تستذلّه هذه الأمور الدنيوية الفانية أشد وأقوى، والاستعارة التصريحية هنا مزجَت الواقع بالخيال، مزجا أعطى القول كمال الجمال وغاص به لفهم المعنى إلى أعماق النفس.

ومن خلال ما اطلعنا عليه من صور بيانية استعارية تصريحية مما تجعل المطلع العربي يتأثّر نفسيا عند قراءته لما يبرز له من جماليات هذه النصوص فيتفاعل بكلّ ما يتصل أو يتعلق بها، لأن صوغ هذه المعاني في صورة تجذب عقل المتلقي وتجعل المعنى في نفس المتلقي أقوى وأعمق، والى فهمه أبلغ، وارتياحه له أكمل، ومن هنا يكون (تفاعل عناصر الصورة الاستعارية وتلاؤمها بعضها مع بعض، ومع التجربة الشعورية والجو النفسي العام من أهم مقومات قدرتها وفاعليتها في التأثير والإثارة)[٥]، فتكتمل الصورة بجانبيها الحسي والمعنوي بما يعكسه التصوير البياني البليغ في النص العربي من انفعال وعاطفة قويّة بين المشبه والمشبه به.

---

١ البخاري. الصحيح. رقم الحديث: ٢٤٧.

٢ الجوهري، إسماعيل بن حماد الفرابي. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.ج٦، ص٢٣٥٦.

٣ البخاري، الصحيح، ج٣، ص٢٢٣.

٤ ابن منظور، لسان العرب، ج٧،ص٣٤، ج٩، ص٣٤١.

٥ مجيد عبد الحميد ناجي. (١٩٨٤م). الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية. ط١. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ص٢٢٣.

النتائج:

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج. وقبل سردها هنا يحسن للباحث أن يذكر مرة أخرى الأهداف التي يسعى البحث إلى تحقيقها حتى يتبين لنا أمتحققة تلك الأهداف أم لا، وهي:

١- التعريف بمفهوم البلاغة النبوية المحمدية التي سجدت لها أفكار البلغاء، وحسرت عقول الدهاة دون غايتها، رغم أنها لم تُصنَع ولم يُتكلف فيها لكنها من الإحكام الجيد تُرى وكأنها مصنوعة مسبوكة، ولكنها مع سهولة ألفاظها وعباراتها تُرى أيضا أنها بعيدةَ ممنوعة، لعظمة ما تحتويه من كنوز المعاني الباهرة.

٢- التعريف بصفة كلامه عليه الصلاة والسلام وأن بلاغته لم تكن بتكلف يتصنعها بل كانت سجية من دون أي تكلف فكان في بلاغته وفصاحته عفويا من دون تعلم ودربه.

٣- التعريف بالإمام البخاري، وعن أهم ما ذكر عن حياته العلمية.

٤- استنباط الصورة البيانية (الاستعارة التصريحية)، من نصوص الأحاديث النبوية، وتحليلها تحليلا بلاغيا، وذكر البحث أن لهذه الصورة البيانية وهي الاستعارة التصريحية إبراز الجمال البلاغي والإبداع النصي على إثبات الخيال في عقل المتلقي بصورة المشبه به، وهي تعتبر من أشرف أنواع البلاغة وأعظمها، وأكثرها أهمية لارتباطها بموضوع الخيال، فهي ناتج عن مخيِّلة المبدع، وأنها تكمن المشاركة عن طريق التشبيه بين المبدع والمتلقي له، فيترتب على ذلك التأثر بها فيدركه ويعي أفكاره.

٥- وقد حصل البحث على عدد من الصورة البيانية في النص النبوي وهما استعارتان تصريحيتان في حديثين من صحيح البخاري .

المصادر والمراجع:

- ابن منظور، لسان العرب.
- أبو بكر كافي. (٢٠٠٠م). منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح). ط١. بيروت. دار ابن حزم.
- أحمد بن محمد بن منصور القاضي. وأبو العباس ناصر الدين الجذامي. المتواري علي تراجم أبواب البخاري. تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد. الكويت. مكتبة المعلا.
- البخاري، الصحيح.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء. (١٩٨٣م). شرح السنة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش. ط٢. بيروت. دمشق. المكتب الإسلامي.

- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفرابي. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (١٩٨٥م). سير أعلام النبلاء. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط٣. بيروت. مؤسسة الرسالة.
- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق. تاريخ آداب العرب. دار الكتاب العربي.
- الرافعي، مصطفى صادق. (بدون...). السُّمُوُّ الرُّوحِيُّ الْأَعْظَمُ وَالْجَمَالُ الْفَنِّيُّ فِي الْبَلَاغَةِ النَّبَوِيَّة. تحقيق: أبو عبد الرحمن البحيري وائل بن حافظ بن خلف. ط٢. دار البشير للثقافة والعلوم.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (١٤١٣ه). طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق: د.محمود محمد الطناحي و:د.عبد الفتاح محمد الحلو. ط٢. مصر. هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- مجيد عبد الحميد ناجي. (١٩٨٤م). الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية. ط١. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي. (١٩٩٥م). كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، ط١. بيروت. مؤسسة الرسالة.
- محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني. (١٩٨١م). الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. ط٢. بيروت. دار إحياء التراث العربي.
- نور الدين محمد عتر الحلبي. (١٩٨٥م). الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح. الكويت. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية.